المحاضرة الثانية ـــــ 2 ـــــ

نظرية النقد العالي لفلهاوزن:

جرى تحول في مسار المنهج الفيلولوجي من دراسة النصوص التراثية البشرية، إلى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، ووضع **فلهاوزن** و (**جراف ...)** في حوالي 1880م الأسس الأولى لنظرية " النقد العالي (نظرية نقد الوثائق) في نقد التوراة، والنقد التوراتي هو : **(علم يسعى إلى تحديد طرق وصول النص إلينا، وتحديد قيمته، وفائدته الأدبية، والتاريخية، والاهوتية، وتشمل نقد النص، والنقد الأدبي، والنقد التاريخي، والنقد الداخلي،والنقد الخارجي)**[1].

فرضيات النظرية: بنيت نظرية النقد العالي في نقد التوراة على الفرضيات التالية:

(1). حدث تطور في الدين من تعدد الآلهة إلى التوحيد. وعلى هذا تكون التوراة من إنتاج التطور الطبيعي للأحاسيس الدينية عند الشعب اليهودي، ولا دخل في ذلك للوحي الإلهي عن طريق الملائكة أو الروح القدس.

(2). الأحداث المتعلقة في الكتاب المقدس بإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب(عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام) وسائر الأنبياء ليس لها أساس تاريخي، بل هي مجرد قصص وأساطير.

(3). لم يكن موسى عليه السلام، وبنو إسرائيل يعرفون الكتابة؛ لأنها لم تكن قد عرفت بعد.

(4). لم يكتب موسى عليه السلام السفار الخمسة الأولى في التوراة سنة1400 أو 1300 قبل الميلاد كما تقول التوراة والقرآن، ولكن أو جمعها كتاب مجهولون بعد ذلك بمئات السنين.

---

[1] (19)

(5). عدم الإيمان بالمعجزات التي أجراها موسى والمسيح عليهم الصلاة والسلام.[2]

وبعد الدراسة والتحقيق توصل "فلهاوزن وجراف" إلى الشك في تاريخ وثائق التوراة، بل إن صفحات التوراة تعطي نموذجا كاملا للتطور الديني، أي أن الدين عند بني إسرائيل قد خضع للتطور والارتقاء، وإن عبارات نسبتها التوراة إلى إبراهيم عليه السلام كتبت بعد موت موسى عليه السلام في حد ذاته بألف سنة[3] .

ودلل فلهاوزن على فرضيته حول حصول تطور في نصوص التوراة، بإحصاء ثلاثة فترات مرت بها الديانة في بني إسرائيل وهي: (أ) فترة العهد القديم (ب) فترة ظهور الأنبياء الكبار (ج) فترة السبي البابلي. وتوجه بعد ذلك لفحص الأسفار القانونية الموجودة في التوراة، فظهر له فيها طبقات أدبية تلاءم الفترات التاريخية طبقة طبقة. وخلص فلهاوزن إلى نتائج ملموسة حول الافتراضات السابقة حول التوراة، حيث اكدت النتائج على إنسانية النصوص الواردة فيه.

وتجدر الإشارة بأن النتائج التي توصل إليها " فلهاوزن" لها جدور تاريخية، فقد طرحت من قبل اللاهوتي اليهودي**" إبراهيم بن عزرا"** الذي سار في الاتجاه النقدي للنصوص التي سار عليها النحاة في العهد الإسلامي ــ وهو أندلسي ــ ففي تصوره أن معرفة اللغة العبرية ونحوها هما حجر الأساس لعلم العهد القديم، وقد أذرك عيوب النص التوراتي ولم يفصح بذلك، وتلقف "سبينوزا" نتائج ابن عزرا في نقده للعهد القديم ، واستخدم المنهج الديكارتي الذي كان في أوجه،وطبقه على التوراة في كتابه" رسالة في اللاهوت والسياسة" فتوصل إلى نتائج لا تقل أهمية عن النتائج التي توصل إليها فلهاوزن. التي مرت معنا، بل إن نتائج سبينوزة وفق المنهج العقلي افصح من نتائج فلهاوزن. و سنترق لها فيما بعد.

اسبينوزة(1632م ـ 1677م) والنقد العقلي لنصوص التوراة:

يقول حسن حنفي في مقدمة ترجمته لكتاب **" رسالة في اللاهوت والسياسة "** لسبينوزا" : " هو الديكارتي الوحيد الذي استطاع أن يطبق المنهج الديكارتي تطبيقا جذريا في المجالات التي استبعدها ديكارت من منهجه، خاصة في مجال الدين، وأعني الكتب المقدسة، والكنيسة، والعقائد، والتاريخ المقدس ... ويضيف قائلا: فهو الذي طبق منهج الأفكار الواضحة والمتميزة في ميدان الدين والعقائد ، فليس العقل فقط هو أعدل الأشياء قسمة بين الناس، بل هو أيضا أفضل شيء في وجودنا ويكون في كماله خيرنا القصى"[4].

---

[2] نفس المرجع ص44.
[3] زالمان شازار، تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث، ص144.
[4] سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة حسن حنفي، تقديم الكتاب ص10،11.

ويضيف حسن حنفي في موضع آخر قائلاً: " ولكن الذي يميز نقد اسبينوزا هو جمعه بين كل أنواع النقد هذه التي ظهرت في القرون الثلاثة الماضية، فهو نقد عقلي يقوم على استعمال العقل الرياضي الهندسي، وهو نقد إنساني يقوم على استعمال النور الفطري، كنور طبيعي في الإنسان، ويهدف إلى تحليل القوى الإنسانية من إدراك وتخيل وانفعال، وهو ايضا نقد علمي يدرس النص الديني كما تدرس الظاهرة الطبيعية بقواعد المنهج العلمي، ويصل إلى قوانين تحكم الظواهر"[5].

يتضح لنا من النقول السابقة أن اسبينوزا أستعمل المنهج " الديكارتي" وهو المنهج العقلاني الذي أحدث في أوروبا انقلابا في مجال البحث العلمي، إلى جانب المنهج التجريبي " الذي اقتبسه " فرنسيس بيكون ـ (1561م ـ 1626م)ــــ من الحضارة لإسلامية التي سبقت النهضة الأوروبية ــــ واللذين قام عليهما البحث العلمي في الحضارة الغربية المعاصرة، وتجدر الإشارة إلى أن كل المناهج الغربية التي نتكلم عنها تنضوي تحت هذين المنهجين الرئيسيين معا، أو تحت أحدهماـ ولذلك فالمنهج الفيلولوجي، والتاريخي، والنقدي، والوصفي... كلها نتضوي تحت ذلك المنهجين الرئيسيين. وما يهمنا هنا هو إبراز النتائج التي توصل إليها "سبينوزا" من خلال تطبيقه للمنهج الديكارتي على التوراة، لنرى التطابق بينها وبين ما توصل إليه فلهاوزن وفق نظرية النقد العالي اعتمادا على المنهج الفيلولوجي:

<u>الخلاصة:</u> نكتفي بذكر بعض النتائج من خلاصة البحث لأن غرضنا هو التوضيح ولمن أراد المزيد فعليه بالرجوع إلى مصدر البحث فهو مترجم إلى العربية ومتوفر على شكل PdF:

(1). أسفار الكتاب المقدس لم يكتبها مؤلف واحد، في عصر واحد، لجمهور واحد، بل كتبها مؤلفون كثيرون في عصور متعاقبة، لجماهير مختلفة في المزاج والتكوين، ويمتد التدوين غلى الفي عام وربما أكثر من ذلك.[6]

(2). لم يكتب موسى مقدمة سفر التثنية لأنه لم يعبر نهر الأردن.

(3). كان سفر موسى مكتوبا على حائط المعبد الذي لم يتجاوز اثني عشر حجرا، أي أن السفر اصغر بكثير مما لدينا الآن.

(4). قيل في سفر التثنية: " وقد كتب موسى التوراة، ولا يمكن أن يقول موسى ذلك إن كان هو كاتبها.

---

[5] نفس المرجع ص23.

[6] تجدر الإشارة هنا إلى أن علماء المسلمين هم الذين أشاروا إلى تعدد المصادر قبل اسبينوزا وغيره. أنظر في ذلك: ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج1 ص293،294. وانظر كذلك ابن حزم، الفصل في الملل والنحل، ج1ص92.

(5). في سفر التكوين، يعلق الكاتب قائلا: " وكان الكنعانيون في هذه الأرض" مما يدل على أن الوضع قد تغير وقت تدوين الكاتب هذا السفر. أي بعد موت موسى وطرد الكنعانيين، وبذلك لا يكون موسى هو الراوي.

(6). في سفر التكوين سمي" جبل موريا" جبل الله، ولم يسمى بهذا الاسم إلا بعد بناء المعبد، وهو ما تمّ بعد عصر موسى.

(7). كتابة الرواية بضمير الغائب، وليس بضمير المتكلم. واستمرار الرواية حتى إلى عصر ما بعد موسى.

وخلاصة القول أن اسفار الكتاب المقدس لم يكتبها مؤلف واحد، في عصر واحد، لجمهور واحد، بل كتبها مؤلفون كثيرون في عصور متعاقبة، لجماهير مختلفة في المزاج، والتكوين، ويمتد التدوين إلى ألفي عام وربما أكثر من ذلك، وقد كبت بعد موسى فيما لا يقل عن ستة قرون، ويذهب سبينوزا إلى أن " عزرا" أحد أحبار اليهود هو من دون التوراة في زمن السبي البابلي في حوالي القرن الخامس قبل الميلاد، مع العلم أن موسى عليه السلام بعث في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، أي ان التوراة كتبت بعده فيما لا يقل عن سبعة قرون، كأقل تقدير.

ملاحظة: إن نظريات التناقض، والاختلاف، و تعدد المصادر، التي انتهت إليها أبحاث كل من **"اسبينوزا"،** و **"فلهاوزن"** ليست بجديد وفق المنهج الديكارتي، والمنهج الفليولوجي، فهي في أصلها **" قرآنية"** بحتة فالقرآن الكريم هو الذي نبه اليهود إلى هذا، يقول المولى عز وجل: (إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) [النمل ـ 76] وقال تعالى في شأن الوحي الإلهي : (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) [النساء ـ 82]. وقد التفت إلى هذا علماء الإسلام في مؤلفاتهم.[7]

–

[7] الرد إضافة لما أشرنا إليه في الهامش السابق أنظر: مايثبته ابن حزم من تناقض في الأسفار الخمسة في رسالة تحت عنوان : " الرد على ابن النعزيلة اليهودي" ، دار العروبة القاهرة ، 1960م، ص50، ص56، ص64، ص87. ومما شك أن اسبينوزا ، ومن سبقه من علماء اليهود الدين تتلمذوا في الأندلس لايخفى عليهم هذا العمل الإسلامي.
وفيما يتعلق بخطأ نسبة الأسفار إلى مؤلفيها أنظر: كتاب "إظهار الحق" لرحمة الله الهندي، طبعة محمد المليجي الكتبي، ج1، من ص31 إلى ص38.

